المحاضرة 3
التنافس الاستعماري على الوطن العربي.

تثمينا لما سبق ذكره يجب تحديد المفاهيم الكبرى للمحاضرة، وهي: التنافس، الاستعمار الإوربي، الوطن العربي. مفاهيم ثلاثة تستوجب التوقف عندها لما لها من دور في ترسيخ مضامين الدرس.

-التنافس:

له مرادفات عدة: الصراع، التسابق، التدافع، السعي وراء الشيء...الخ، ومن خلال الموسوعات والقواميس التي تم ملامسة بعض مفاهيمها ف التنافس شيء محمود وجب تثمينه، لكن هل ينطبق هذا على موضوع درسنا؟ الاجابة لا. وعليه فماذا وقع بالضبط؟ إن الذي وقع هو تكالب أوربي على الوطن العربي، تكالب سيفضي في الأخير إلى احتلاله طبعا. معنى ذلك هو شجب هذا المصطلح وعدم توظيفه في هذا السياق الذي يُراد لنا.

-الاستعمار:

كلمة مطاطة تداولتها كثير من المرجعيات، لدرجة لم يتضح لنا من خ لالها مفهوم الإستعمار؟ لأن المدلول الحقيقي للمصطلح هو الإستدمار كما ذكره المفكر الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم. بناء عليه يمكن القول: إن ا لاستعمار أو بالأحرى الإستدمار هو استغلال الانسان لأخيه الإنسان، السيطرة عليه، استعباده، استغلاله، القضاء عليه...الخ.

إن كلمة التنافس الاستعماري تشمل العديد من الدول، لكن الدول التي استهدفت -الوطن العربي هي: الدول الأوربية، وعليه فدراستنا للتنافس يجب أن نحدد من خلالها البعد التاريخي للمصطلح اقترانا بالزمان والمكان: متى بدأ التنافس الأوربي يلوح في الأفق على الوطن العربي؟.

على الرغم من كون التنافس ليس حدث تاريخي وقع في زمان ومكان معين، نستطيع أن نستجلي ملامحه أو بوادره، بوادر بدأت تلوح في الأفق مع مصطلح المسألة الشرقية: القاضية بتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، وطالما الوطن العربي يقع ضمن رقعتها الجغرافية فالمسألة تعنيه ب الدرجة الأولى.

بعد قضاء الدول الأوربية على ممتلكات الدولة العثمانية –الجغرافيا- في جنوب وشرق قارة أوربا انتقلت إلى القضاء على ممتلكاتها في الوطن العربي –قارة أفريقيا وآسيا- ومن ملامح ذلك: حملة نابليون بونابرت على مصر 1798-1801، حملة لنا فيها رأي آخر، لأن حملته لم تكن ضمن هذا

التصور الأوربي، فنابليون كان ضد الأنظمة الرجعية الأوربية ولم يُنسّق معها في هذه الحملة بل كان يسعى إلى جعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية خارج السياق الأوربي، أي لا يمكن ادراج حملته ضمن مسار المسألة الشرقية>.

إن المسألة ا لشرقية تبدأ فعليا مع الإحتلال الاوربي الفرنسي للجزائر سنة 1830، وهي أول حلقة من حلقاتها بشمال افريقيا تستهدف ولاية عثمانية لها مكانتها وقيمتها التاريخية.

-أسباب التنافس الأوربي:

يسعى البعض دوما إلى محاولة تبرير هذا التنافس، من خلال التساؤل اللماذي: لماذا وقع التنافس الأوربي؟ التنافس تحصيل حاصل ولا داع للبحث في عليته التاريخية وتقديم مبررات من هنا وهناك، لكن علية التنافس يجب النظر اليها من زاوية الآخر -الغازي المستعمر-، وعليه فهذا الأ خير ربما قدم أسباب وأخفى أخرى، لكن استنطاق الأحداث تجعلنا نركز على محور الحدث –التنافس- المبرمج سلفا بتصفية مملتكات الدولة العثمانية؛ وعليه فما وقع للوطن العربي هو مجرد حلقة من حلقات المسألة ا لشرقية.

بعد قيام الوحدة الإيطالية 1870، الوحدة الألمانية 1871، تضاعف التكالب الأوربي على الوطن العربي، تكالب أفضى إلى عقد مؤتمر برلين الأ ول 1878، ثم مؤتمر برلين الثاني 1884، تحددت من خلالهما نصيب الدول الأوربية في الوطن العربي، فرنسا-تونس، فرنسا-المغرب، اسبانيا-المغرب، بريطانيا-مصر، ايطاليا-ليبيا، لكن لم تنل ألمانيا نصيبها من هذه القسمة، فكيف كان موقفها؟

قامت ألمانيا بالالتفاف على الدول الأوربية من خلال تقاربها مع الدولة العثمانية في اطار ما عرف بسكة حديد برلين-بغداد. ردا على مشاريع بريطانيا في المشرق العربي، وفرنسا في المغرب العربي، تحالف زاد من حدة التكالب الأوربي، وعمّق حدة الخلافات الأوربية من خلال: اتفاقيات اللصوص الثنائية والثلاثية التي جرت بين 1900-1904، اتفاقيات تعززت بعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906، لكن سُحب التكالب تلبّدت؛ ولم يتفق اللصوص فيما بينهم فجاءت أزمة أغادير سنة 1911، ثم أعقبتها حرب عالمية بين هذه القوى سنة 1914.

في ظل هذه المرحلة تم تقطيع أوصال العرب بين المتنافسين الأ وربيين: الولايات العثمانية في المغرب العربي، ثم الولايات العثمانية في المشرق العربي، ليتم اكمال أو اختتام حلقة المسألة الشرقية باتفاقية

سايكس بيكو سنة 1916 ثم بوعد بلفور المشؤوم سنة 1917.